قال : وعندى أن مثل هذا غير مخصوص بالضرورة ، لتمكن قائل الأول أن يقول (ما أنت بالحكم المرضى حكومته) ولتمكن قائل الثانى أن يقول (ما مَنْ يروح) فإدخال (أل) يدل على الاختيار لا الاضطرار ، ولذلك لم يقل فى أشعارهم (١) .

والحق أن هذه الفكرة التى لمسها ابن مالك من التفريق بين ما هو « خاص بالشعر » وما يطلق عليه اسم « الضرورة » فكرة دقيقة وناضجة ، ولو توسع فى تطبيقها من جاء بعده من النحاة ، لعزلوا كثيراً مما أطلق عليه اسم الضرورة فى النحو ، ودرسوه على أنه خاص بلغة الشعر ، ومن يدرى ؟ فربما كانت دراسة الشعر قد استقلت خصائصها كلية — بتأثير هذه الفتة الذكية — عن دراسة النثر ، لكن ما حدث بعد ذلك كان استمراراً للعرف العلمى قبل ابن مالك عن فهم الضرورة ، بل إن المتأخرين عنه وقفوا منه ومن فكرته موقف العناد والتخطئة .

ومن أبرز من خالفوه فى ذلك وناقشوه أبو حيان فى « شرح التسهيل » وابن هشام فى « تخليص الشواهد » والسيوطى فى « الأشباه والنظائر » والبغدادى فى « خزانة الأدب » .

● قال ابن هشام : يجوز فى الضرورة أن يرد المتصل بعد (إلا) قال الشاعر :

وما نبالى إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاك ديار

وزعم الناظم فى شرح التسهيل أن الوصل فى البيت ليس بضرورة ، لتمكن الشاعر من أن يقول (ألا يكون لنا خل ولا جار)

---

(١) راجع : شرح التسهيل ورقة ٣٤ .